

رسائل الحب

فيكتور هوغو

أحب فيكتور هوغو، وملاً الحب فراغ ذهنه، واستأثر بعواطفه، وملك عليه مشاعره، وكان يبعث إلى تلك التي أحبها ثم خطبها لنفسه، الرسالة تلو الرسالة؛ وكانت تلك المحبوبة أو الخطيبة حاذقة لبقه، عرفت كيف تصون تلك الرسائل من العبث، فوضعتها في مكان أمين حتى إذا ما قضى شاعرنا نخبه ظهرت تلك الرسائل كأثر فني بديع، يترجم عن عواطف الشاعر الذي ملأ اسمه الدنيا، وردد ذكره كل لسان.

ويكفيك تعريفا بهذه الرسائل وقيمتها مناجاة فيكتور نفسه لها في كتابه (اوراق الخريف) حينما كان قد جاوز سن الشباب.

قال يناجيها : —

يارسائي المحبوبة !

ياتذكار الصبا !

ياترجان الحب والفضيلة !

أهذه هي أنت؟ وهل حقاً كنت قد خططت يدي ؟

إذن فلا ركم أمامك، وليطل ركوعى حتى اقرأك، لأنك سهر السعادة وتذكر الهناء . من لى بمن يرجعنى ، ولو يوماً واحداً، إلى يوم سطرته، ثم أعود كما أنا الآن الرزين العاقل لأستطيع أن أقارن بين عهديين ، وأفاضل بين زمنين ، ولأستشعر اللذة التي فقدتها، وليكن ما يكون بعد هذا .

هل كنت في الثامنة عشرة من عمري يوم كتبتك ؟ وياترى كيف كنت وأنا أسطرك ، وماذا كان مبلغ الامل والرجاء عند ما كنت أطرب لما سطرته أنا ملي ؟

لقد كنت كلما زادت نشوتي نهني أمل قد كان - وآسفاً - كاذباً، حتى لقد كانت تبدو في سماء ذلك الامل كواكب يلوح لى أن سأهتدى بها، ولكن سرعان ما كانت تختفى !

أيارسائي ! لقد خلقتك يدي بالأمس، فكنت أشبه ما أكون باله لك، ولكننى صرت رجلاً، ولا أدرى من ينجبل الرجل؟ ومن ينجبل إذا أعاد ذكريات الصبا؛ ذلك الصبا المملوء بالأحلام والقوة والآمال ؟ فأين أنت أيها الزمن يوم كان الشاب يقف في مفترق الطرق كل مساء يستعرض الوجوه وجهاً وجهاً، ويتفرس في الحلال حلة بعد حلة، عله يجد أثراً لفاتكته، ثم يعود إلى

بيته ولم تكتحل عينه برؤيتها، فيعمد إلى أثر من آثارها ينهال عليه تقيلاً، كذلك كنت من قبل، أشبع قفازاً لمبودتى - كانت قد تركته لى - تقيلاً، كأنتى أقول مع القائل :
أقبله على الذكرى كأنى أقبل فيه فأك ومقلتيك
يا زمان الصبا ، ما أجلك ! أنت زمن القوة ، والاخلاص ، والحب ، والتألق ، وعلو
الهمة ، بل أنت زمن الطهارة أيضاً، فيأسفاه لفقدانك ، ومن لى بالعودة إليك !

تلك هى رسائل هوجو شاعر فرنسا : رسائل الحب ، رسائل الفضيلة ، رسائل الصبا التى حفظتها محبوبته بأوفر اعتناء ، والتى ترجمت عن عواطف وكشفت عن سر الصبا ، ها نحن نترجمها إلى اللغة العربية ليستطيع أن يقرأها من لم يسعده الخط بقراءتها باللغة الفرنسية .
بل ها نحن نقدمها عظة للشبان وسلوى للشيوخ ، وآيات لأولى الألباب .

الرسالة الاولى

مساء السبت .. يناير سنة ١٨٢٠

معبودتى أدبل !

صدرت منك ياسيدتى كلمات أثارت كامن عواطفى ، واهتاجت شاعرى ، ولو أننى كنت بالأمس قضيت نخبى ما كان هناك شىء يبعث فى الحياة غير صوتك الحنون ، ولتلك الرقيق ، فروحى عالقة بك ، تحيا بها .

إننى اليوم غيرى بالأمس ، بالأمس كنت أتوق إلى الموت وأتمناه ، واليوم صرت أشعر بأننى يجب أن أعيش لك وبك ، وهى أننى تصورت أنك لا تحبيننى فهل فى ذلك ما يدعو إلى الموت ؟ وهل أعيش أنا لنفسى أو لسعادتى الخاصة ؟

لا ، لا . إن نفسى يغمرها الاخلاص لك ، ولست أدرى بأى وجه أستحق حبك مع أننى لست إلهاً أو ملاكاً ، بل كل مافى الأمر أننى عبدك ، أكرس حياتى لخدمتك ، والدفاع عنك لقاء بسمة توجيبها لى ، أو كلمة تقولينها لى .

إنك أملى فى الحياة ، بل إنك ربيع الحياة ، ولئن أظهرت عدم الاهتمام بى ، أو بدت البغضاء من فيك ، فلن يكون أثر ذلك غير تعاستى وشقاءى ، ولن يضيرك ذلك ياسيدتى ، ولكنه لا يجدر بك وأنت تعلمين وفائى وإخلاصى لك .

إن واجبى هو أن أتبع آثارك ، وأترسم خطواتك ، وأجتاز كل حاجز يحول بينى وبينك تلقاء أن تتخذى من ذراعى متكأ لك إذا سرت ، وأن تمنحني نظرة عطف وإشفاق كما التقيت بك ، وأن تذكرينى عند كربتك ، وأن تسمحى لى - إذا ما اشتفيت - أن أقبل موطئ

قدميك المعبودتين ، ولئن فعلت لذلت أمامي كل صعوبات الحياة ، وتلك هي السعادة التي أحلم بها وأرجوها .

ولئن كنت مستعداً لكل ذلك فهل أعجبك ياسيدي مدينة لى بشيء ؟ كلا ! فلا ذنب لك لأنني أحبك ؛ ولكن الذي أرجوه في خضوع ، ألا تهزئي باخلاصي ، وألا تستهيني بما أعرض عليك من خدماتي ، وإن كنت أرى أن ما أفعله يحسب تضحية بالنسبة لما يغمر قلبي من الغرام بك ، والحب لك .

لقد كان رأسي بالأمس عامراً بكل هاتيك الأفكار ، ولا تزال هي هي حتى هذه الساعة ، وستظل ما تردد في نفس ، وما دبّت في جسمي الحياة .

هل حقاً يا معبودتي أنك تحبينني ؟ قولي بربك : هل تجددين هذا الحلم اللذيذ يتحقق ، وهل لي إلا أن أتيه من الفرح إذا قدر لي أن أمضي حياتي تحت قدميك ، وأن أتناكّد من سعادتك باجتاعنا كتأكّد من سعادتي بهذا الاجتماع .

آه ! يا معبودتي ، إن رسالتك أعادت إلى الراحة المفقودة ، وكلامك غمر قلبي بالفرح ، فألف شكر لك يا أدبل ، يا ملاكي المعبود .

إلى الملتقى ، إلى الملتقى ، وسأكون سعيداً هذه الليلة لأنني سأحلم بك ؛ فلتناهي هنيئة ، ولتحتج زوجك القبلات الموعود بها ، واسلمى للواله بك ؟

(فيكتور)

الرسالة الثانية

الاثنين ٢٨ فبراير سنة ١٨٢٠

معبودتي أدبل !

يؤلمني يا عزيزتي أن يكون كتابي إليك رداً أو مناقشة ، لما ظهر لي منك مساء أمس ؛ إن خطابك مهما أثار في نفسي فهو عزيز لذي ، لأن فيه برهاناً جلياً على ميلك إلي ، أعترف ياسيدي ، في غير إبهام ولا غموض ، أنني كنت مخطئاً وأنت كنت محقة ، وإنني أتقدم إليك مستغفراً عن هذه الخطيئة راجياً أن تغفري ، فلست أنا الذي يتولى أمر القصص منك ، بل لا أستطيع أن أعاقب روجي على شيء يصدر منها مهما كان عظيماً ، وما روجي إلا أنت ايتها العزيزة ، فتحتّم على أن أحبك ، وأصونك ، وأدفع عنك كل أذى .

تحدثني إلى دائماً ياسيدي عن كل ما يقع لك أو منك ، أخبريني عما تفعلينه ، صارحيني بما تفكرين فيه ، ففى ذلك حياة لقلبي الموله بك .

اسمحي لي أن اعتب عليك في أمر صغير ، وتجاوزي عن هذا العقاب فان عين الحب تقادة : أعلم أنك تميلين إلى الرقص ولذلك ترنادين المراقص ، وقد صرحت أنت لي بذلك ، فلم رفضت .

دعوتى التى وجهتها إليك أخيراً ؟ أألم أتجنب من أجلك المراقص بأجمعها ؟ أألم أهجر كل مكان للهو تلبية لرغبتك ؟ ومع ذلك لم أعتبر هذا تضحية منى ، لأننى أرى أن التضحية لا تكون إلا فى ترك شيء يسبب للنفس اللذة ويجلب لها السرور ؛ أما أنا فلذتى وسرورى فى وجودى بالقرب منك .

الحق يا سيدتى أننى كثير الغيرة ولكنى أظلمها فى نفسى ، وأرى أنها يجب ألا تقتصر على الحب ، بل يجب أن أدع لك الحرية فى أن تتمتعى بما تجددين فيه أنت ولداتك مسرة ومرحاً ، وإن كنت أعلم ، أو على الأقل أظن ، أنك ستجددين فى الجمع الزاخر بالفتيان من هو أنضر منى وأكثر ظرفاً وتألقاً ، ولكنى أعلل نفسى بأنك لن تجدى من وراء هذا الجمال الحنو الذى تتطلبين ، والطهارة التى تريدين .

لست أريد يا سيدتى أن أزعجك بسردي لآلى ، فكل بغيتى أن تكون أنت سعيدة ، فالى الملتقى إذاً ، ولتحدثنى إلى كما قلت لك عن كل شيء ، وأملى أن تضرعى إلى الله أن يلهمنى الجرأة والحذر والصبر ، أو الحذر والصبر وحدهما ، فهما كل ما أتمنى ، وإننى أكون فرحاً كلما تصورت أنك لى ، وأنت فى الحقيقة لى رغماً عن كل ما أتصوره من العقبات التى ستعترض سيلنا ، ولكنك نعمة السماء الممنوحة لى ، فهأنا أناذى كما قال شارل السابع من قبلى : « ما وهبه الله لن ينزعه الشيطان » .

الوداع الآن ، واسمحي لى أن أتخيل أننى أقبلك وأن هذه القبلية واحدة من عشرات تدين بها زوجة وفية لـحبها المخلص ؟

(فيكتور)

الرسالة الثالثة

٢٠ مارس سنة ١٨٢٠

عزيزتى اديل !

أكتب إليك على رغم ما يحيط بى من ظروف محرجة ، وأرجو أن تكون التوكيدات التى تقدمت بها إليك كدليل على وفائى لك .

مرى وعلى أن أطيع لتسا كدى من هذا الوفاء ، ولتكونى مطمئنة البال ؛ فهأنا أقدم لك أنك كل شيء لى فى الحياة وأن مايسرك يسرنى ؛ ولقد كنت أود يا عزيزتى لو أستطيع أن أحضك على الصبر والاحتمال ، ولكن عجز لسانى عن التصريح لك بهذا ؛ وفى مصلحتى أن أدعوك إلى هذا الصبر لتبتهجى وتفرحى ؛ لأن « أملك يؤلمنى » كما أن ابتهاجك يسرنى ، وكفى ذلك يا صديقتى ، فليس من حقى فى هذه الرسالة إلا أن أتكلم عن نفسى ، وأعتقد اننى لن أكون تعساً قط لأننى أحبك ، والحب ينبوع السعادة .

أستودعك الله راجياً أن تنقني من وفائي لك ، وأن تجعلى قلبك عامراً بالثقة بي ، واتق
سأحمو من ذهني كل ماثار بيننا ، وعليك أن تدللى على الوفاء بأن تكتبني إلى دائماً ، وأن تكتبني
في حذر واحتياط ، وأن تحرقى جميع رسائل إليك ، فذلك ما يحتمه الحذر .
الوداع .. الوداع .. يا عزيزتي ! ولتكتبني إلى ، فرسائلك سر الحياة ؟
(فيكتور)

الرسالة الرابعة

٢١ مارس سنة ١٨٢٠

لم أستطع أن أبعث إليك برسالتى أمس ، ولذا أضيف إليها هذه الأسطر :
أنا الآن وحيد أخلو بنفسى وذكرك يملأ خلالي ذهني ، لذلك أتهز هذه الفرصة لا أكتب
إليك ؛ وكنت أتمنى لو أنك كنت إلى جانبي في هذه العزلة أناجيك عن كسب مكتونات قلبي .
لم تأخرت عنى رسالتك في يوم السبت المنصرم ؛ ألم تعترفى بأن لديك شيئاً تودين الافضاء
به إلى ، فلم لم تفعل ؛ ذلك خطأ أرجو أن يمحوه ماستسطينه في رسالتك القادمة ، وكما أنا
نغور بإيجاد طريق إلى لومك لا تهزها فرصة تمكنني من إطالة الكتابة حتى تشبع نفسى الظامئة
إليك في ترديد اسمك .

اعلم يا سيدتى أنك خير منى آلاف المرات ؛ ولكن على الرغم من ذلك فانت لى ... أستودعك
الله الذى أرجو أن يمنحنا اجتماع لحظة تتسامر فيها ونشفي غليل أفئدة شها الغرام ؟
(فيكتور)

ترجها : جوزيف أبو رجيل

المكتبة المحمودية التجارية

بميدان الازهر

لقد امتازت مكتبتنا بما تحتوى عليه من نقائس المؤلفات
القديمة والحديثة وحسن المعاملة والقناعة في الربح الصفتان اللتان
عرفت بهما وهى مستعدة لتصدير كل ما يطلب منها إلى داخل القطر
وخارجه بالجملة والقطاعى ، بغاية السرعة والاتقان .
جميع المخابرات باسم صاحبها (محمود على صبيح) صندوق
بوسته رقم (٥٠٥) مصر